

تَرْكُونِي أَنَا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ

(Arabic – The spring of the living water)

أحبائي.. حديثنا اليومَ مَوْضُوعُهُ: تركوني أنا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ

ومن سفر إرميا الأصحاح الثاني نقرأ العدد الثالث عشر:

"لأنَّ شَعْبِي عَمِلَ شَرِّينَ. تركوني أنا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ. لِيَنْقَرُوا لأنفُسِهِمْ أَبَاراً أَبَاراً مُشَقَّةً. لا تَضْبُطُ مَاءً".^١

تَعْلَمُ أَنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَوْمَ التَّحَاقِقِ بِإِدْحَى الْكَلِمَاتِ الْجَامِعِيَّةِ يُرَوِّدُونَهُ بِالْكَتَبِ الَّتِي يَلْزِمُهُ دِرَاسَتَهَا. ثُمَّ يَقُومُ بِقِرَآئَتِهَا وَفَحْصِهَا وَتَمْحِصِصِ مَحْتَوِيَاتِهَا لِيَتَقَدَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ لِإِخْتِبَارِ يَمِينِ مَدَى تَحْصِيلِهِ لِمَا قَرَأَ وَدَرَسَ. وَإِذَا لَمْ يَنْكَبْ عَلَى دِرَاسَةِ تِلْكَ الْكُتُبِ بِالْأَسْلُوبِ الصَّحِيحِ، فَبِكُلِّ تَأْكِيدٍ سَيَكْتَفِي الإِخْتِبَارُ ضَحَالَةَ الْمُسْتَوَى الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ. وَلَكِنْ مِنَ الْمُتَعَارَفِ عَلَيْهِ أَنْ يُعْطَى طَالِبُ الْعِلْمِ فِتْرَةً زَمْنِيَّةً كَافِيَةً تَتَنَاسَبُ مَعَ مَوَادِّ الدِّرَاسَةِ لِاسْتِيعَابِهَا كَمَا يَجِبُ. دُونَ اعْتِمَادِ عَلَى الْقِرَاءَةِ السَّطْحِيَّةِ غَيْرِ الْكَفِيلَةِ بِالْإِلْمَامِ الْوَاقِي بِمَنْهَجِ الدِّرَاسَةِ الْمَطْلُوبَةِ. وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَيْضاً أَنَّ مَنْ أَتَمَّ دِرَاسَتَهُ فِي إِحْدَى دُورِ الْعِلْمِ. وَكَتَسَّبَ تَرْخِيصاً لِلْقِيَامِ بِمَسْئُولِيَّةِ الْعَمَلِ بِنَاءً عَلَى شَهَادَةِ مُعْتَمَدَةٍ لِمَا تَخَصَّصَ فِيهِ عِلْمِيًّا وَإِخْتِبَارِيًّا. لَا يَسْتَغْنِي عَنِ الاسْتِمْرَارِ فِي مُرَاجَعَةِ مَا دَرَسَ. وَالإِطْلَاعِ عَلَى مَا يُسْتَحْدَثُ مِنَ الْبُحُوثِ الْمَتَطَوَّرَةِ. لِذَلِكَ نَشَاهِدُ بِمَكْتَبِ رَجُلِ الْقَانُونِ مِثْلًا كِتَابَ الْقَانُونِ تَمَلُّاً رُفُوفَ مَكْتَبَتِهِ. وَالْمَحَاسِبُ أَيْضاً وَالطَّبِيبُ وَالْمُهَنْدِسُ وَغَيْرُهُمْ. فَلَا غِنَى لَوَاحِدٍ عَنِ مُوَاصَلَةِ الدِّرَاسَةِ الْفَاجِصَةِ الْمُتَأَنِّيَةِ فِي الْكُتُبِ الَّتِي تَفِيضُ بِهَا أَسْوَاقُ التَّأْلِيفِ وَالطَّبْعِ وَالنَّشْرِ. دِرَاسَةٌ مُتَعَمِّقَةٌ لِيَسْتَفِيضَ فِي مُسْتَوَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي بَهَا نَقَرْنَا الصُّحُفَ الْيَوْمِيَّةَ.^٢

قَصَدْتُ بِتِلْكَ الْمُقَدِّمَةِ أَنْ أُوكِّدَ ضَرُورَةَ قِرَاءَةِ الْكُتَابِ الْمُقَدَّسِ فَاحْصِينَ مَحْتَوِيَاتِهِ. فَلَقَدْ جَاءَ بِإِنْجِيلِ مَتَّى الْأَصْحَاحِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ قَوْلَ الرَّبِّ يَسُوعَ لِلصُّدُوقِيِّينَ الَّذِينَ جَاءُوا يَسْأَلُونَهُ عَنِ حَقِيقَةِ الْقِيَامَةِ: "تَضِلُّونَ إِذْ لَا تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلَا قُوَّةَ اللَّهِ". وَبِسُفْرِ أَعْمَالِ الرِّسْلِ الْأَصْحَاحِ السَّابِعِ عَشَرَ عَنِ مِوَمِي بِيْرِيَّةِ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَلَّمَهُمْ بُولُسُ الرِّسُولُ وَسَيَلَا بِكَلِمَةِ الْحَيَاةِ. جَاءَ هَذَا الْقَوْلُ: "وَكَانَ هَؤُلَاءِ أَشْرَفَ مِنَ الَّذِينَ فِي تَسَالُونِيكِي فَقَبِلُوا الْكَلِمَةَ بِكُلِّ نَشَاطٍ فَاحْصِينَ الْكُتُبَ كُلَّ يَوْمٍ هَلْ هَذِهِ الْأُمُورُ هَكَذَا؟". لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ كَثِيرِينَ يَقْرَأُونَ الْكُتَابَ الْمُقَدَّسَ. أَنَّهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَقْرَأُونَهُ تَنْفِيحُ عَيْونُهُمْ عَلَى نُورٍ جَدِيدٍ مِنْ كَلِمَةِ اللَّهِ. وَيَبَالُونَ لِمَسَّةِ رُوحِيَّةٍ تَسْمُو بِحَيَاتِهِمْ. وَتَزُوْدُهُمْ بِقُوَّةٍ فِي عِلَاقَتِهِمْ مَعَ اللَّهِ. وَتَشَدُّدُ ارْتِبَاطِهِمْ بِأَخْوَتِهِمْ. وَتَرْفَعُ كِفَاعَتَهُمْ لِتَوْصِيلِ كَلِمَةِ اللَّهِ الْحَيَّةِ الْفَعَالَةِ لِلنَّفُوسِ الْمُحْتَاجَةِ.^٣

إِخْتَبَرْتُ ذَلِكَ حِينَ تَأَمَّلْتُ أَقْوَالَ اللَّهِ الَّتِي جَاءَتْ عَلَى لِسَانِ إِرْمِيَا النَّبِيِّ بِسُفْرِهِ. إِذْ أَصْبَحَ أَكْثَرَ وَضُوحاً أَنَّ أَسْلُوبَ اللَّهِ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ الْبَشَرِ سِوَاءَ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ أَوْ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ. أَنَّهُ هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ الَّذِي يَرَعَى قَطِيعَهُ بَعِينَ سَاهِرَةً. فَهُوَ الَّذِي يَسْعَى وَرَاءَ الضَّالِّ سَعِيًّا بِلَا كَلَلٍ أَوْ تَوَقُّفٍ حَتَّى يَجِدَهُ. يَتَرَفَّقُ مُشْفِقاً عَلَى الضَّعِيفِ بِقَلْبِهِ الْفِيَاضِ بِالْحُبِّ. وَيَتَأَنَّى عَلَى الْعَاقِّ وَالْمُتَمَرِّدِ. وَإِذَا انْحَرَفَ وَاحِدٌ مِنْ أَوْلَادِهِ عَنِ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ وَاتَّخَذَ مَسَاراً آخَرَ ظَلَّ مُنْتَظِراً عَوْدَتَهُ. وَعِنْدَ عَوْدَتِهِ يَسْتَقْبَلُهُ بِأَحْضَانٍ مَفْتُوحَةٍ مَرْحَبَةً بِغَضِّ النَّظَرِ عَمَّا بَدَرَ مِنْهُ. وَبِالتَّأَمُّلِ فِي الْعَدَدِ الثَّلَاثِ عَشَرَ إِذْ يَقُولُ الرَّبُّ: "لأنَّ شَعْبِي عَمِلَ شَرِّينَ. تركوني أنا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ. لِيَنْقَرُوا لأنفُسِهِمْ أَبَاراً أَبَاراً مُشَقَّةً لا تَضْبُطُ مَاءً". تَسْتَرَعِي النَّفَاتِنَا أُمُورٌ هَامَةٌ نَوْجُهَا فِي ثَلَاثَةِ لَيْتِنَا نَسْتَوْعِبُهَا لِفَائِدَتِنَا الرُّوحِيَّةِ.^٤

أولاً: الشَّرُّ الْأَوَّلُ.. إِنَّ الرَّبَّ يُخَاطَبُ جِيلاً جَدِيداً مِنَ الشَّعْبِ الْإِسْرَائِيلِي سَارَ عَلَى مَنَوَالِ أَجْيَالٍ سَبَقَتْ. وَكَانَتْ تِلْكَ الْأَجْيَالُ قَدْ بَدَأَتْ فِي الْبُعْدِ عَنِ اللَّهِ وَاسْتَمْرَأَتْ ذَلِكَ الْبُعْدَ. وَقَطَعَتْ فِيهِ شَوْطاً طَوِيلاً أَنْسَاهُمْ إِحْسَانَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَهِيَ لَا تَحْصَى. لَقَدْ كَشَفَ الرَّبُّ لَهُمْ عَنْ أَخْطَاءِ آبَائِهِمْ. لِأَنَّهُ بِمَعْرِفَةِ أَصْلِ الدَّاءِ يُمَكِّنُ الاسْتِدْلَالَ عَلَى خَيْرِ

دَوَاءً. قَالَ الرَّبُّ لِذَلِكَ الْجَبَلِ: "مَاذَا وَجَدَ فِي آبَائِكُمْ مِنْ جُورٍ. حَتَّى ابْتَعَدُوا عَنِّي وَسَارُوا وَرَاءَ الْبَاطِلِ وَصَارُوا بَاطِلًا. وَلَمْ يَقُولُوا أَيْنَ هُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ؟. الَّذِي سَارَ بِنَا فِي الْبَرِّيَّةِ فِي أَرْضِ قَفَرٍ وَخَفِرٍ. فِي أَرْضِ يَبُوسَةٍ وَظِلِّ الْمَوْتِ. فِي أَرْضٍ لَمْ يَعْبُرْهَا رَجُلٌ وَلَمْ يَسْكُنْهَا إِنْسَانٌ. وَأَثَيْتُ بِكُمْ إِلَى أَرْضِ بَسَاتِينَ لِتَأْكُلُوا ثَمَرَهَا وَخَيْرَهَا". فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مَا يَعْتَدِرُونَ بِهِ عَنِ الْخَطَا الَّذِي وَقَعَ فِيهِ آبَاؤُهُمْ. إِذْ كَيْفَ يُجِيبُ الْإِنْسَانُ عَن بُعْدِهِ عَنِ اللَّهِ؟. بِمَاذَا نَعْلَمُ انْحِرَافَنَا عَنِ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ؟. كَيْفَ يَنْسَى الْإِنْسَانُ أَمَانَةَ اللَّهِ وَإِحْسَانَاتِهِ الْعَدِيدَةَ الَّتِي سَبَقَ وَأَحْسَنَ بِهَا عَلَيْهِ وَمَا زَالَ يُحْسِنُ؟. أَلَيْسَتْ هَذِهِ حَمَاقَةٌ مِنَّا نَحْنُ الْبَشَرُ؟. إِنَّ الرَّبَّ لَمْ يَفْعَلْ بِهِمْ شَيْئًا سَيِّئًا بَلْ خَيْرًا. لَقَدْ أَنْقَذَ الرَّبُّ عَشَائِرَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ مِنْ عُبُودِيَّةِ أَرْضِ مِصْرَ. وَبَعْدَ أَنْ حَرَّرَهُمْ أَتَى بِهِمْ إِلَى أَرْضِ بَسَاتِينَ لِتَأْكُلُوا ثَمَرَهَا وَخَيْرَهَا. وَلَكِنَّهُمْ تَرَكَوا الرَّبَّ يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ. وَنَقَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَبَارًا مُشَقَّقَةً لَا تَضْبُطُ مَاءً!^١

ثانياً: الشرُّ الثاني.. اختيَارُهُمُ الْأَسَالِيبَ الرَّدِيئَةَ. لَقَدْ كَشَفَ الرَّبُّ عَن سُلُوكِهِمُ الرَّدِيءِ بِقَوْلِهِ: "أَنْتِمْ وَنَجَسْتُمْ أَرْضِي. وَجَعَلْتُمْ مِيرَاثِي رَجْسًا. الْكَهَنَةُ لَمْ يَقُولُوا: أَيْنَ هُوَ الرَّبُّ. وَأَهْلُ الشَّرِيعَةِ لَمْ يَعْرِفُونِي. وَالرَّعَاةَ عَصَوْا عَلَيَّ. وَالْأَنْبِيَاءُ تَنَبَّأُوا بِبِعْلِ. وَذَهَبُوا وَرَاءَ مَا لَا يَنْفَعُ". بَعْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الرَّبُّ يُحْذِرُهُمْ بِقَوْلِهِ لِمَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ: "يُوبِخُكَ شَرِّكَ وَعَصِيَانُكَ يُؤَدِّبُكَ. فَاعْلَمِي وَانظُرِي أَنْ تَرَكَكِ الرَّبُّ إِلَهَكَ شَرًّا وَمُرًّا. وَأَنْ خَشَيْتِي لَيْسَتْ فِيكَ يَقُولُ السَّيِّدُ رَبُّ الْجُنُودِ". إِنَّ فِعْلَ الشَّرِّ يَحْمِلُ تَوْبِيخًا لِلشَّرِّيرِ بِاقْتِرَافِهِ لَهُ. وَعَصِيَانُ الشَّرِّيرِ يُصَاحِبُهُ تَأْدِيبٌ لَهُ. وَعَوَاقِبُ فِعْلِ الشَّرِّ وَخِيمَةٌ وَلَا مَقَرَّ مِنْ وَقُوعِهَا. وَحَتْمِيَّةٌ وَقُوعِهَا عَلَى الشَّرِّيرِ أَكِيدَةٌ. إِنَّ الْحِكْمَةَ الْبَشَرِيَّةَ تَسُوقُ الْإِنْسَانَ إِلَى حَفْرِ أَبَارٍ لِنَفْسِهِ وَلَكِنَّهَا لِلْأَسْفَلِ لَا تَضْبُطُ مَاءً. قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ لِلْسَامَرِيَّةِ الْمَذْكُورَةِ بِالْأَصْحَاحِ الرَّابِعِ مِنْ إِنْجِيلِ يُوْحَنَّا وَقَدْ جَاءَتْ لِتَسْتَقِيَ مِنْ بئرِ يَعْقُوبَ: "كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هَذَا الْمَاءِ يَعْطَشُ أَيْضًا. وَلَكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الْأَبَدِ. بَلْ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعٌ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ".^٢

ثالثاً: العلاجُ لِمَنْ عَمِلَ الشَّرَّينَ.. لَقَدْ جَاءَ بِالْأَصْحَاحِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ سَفَرِ إِرْمِيَا كَلَامٌ مِنَ الرَّبِّ مُشَجِّعٌ لِلشَّعْبِ كَيْ يُعَدِّلَ مَسَارَهُ: "لَأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: إِلَى عَيْدٍ تَمَامِ سَبْعِينَ سَنَةً لِبَابِلَ. أَنْعَهْذَكُمْ وَأَقِيمَ لَكُمْ كَلَامِي الصَّالِحَ بِرُكُومِكُمْ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ. لِأَنِّي عَرَفْتُ الْأَفْكَارَ الَّتِي أَنَا مُفْتَكِرٌ بِهَا عَنْكُمْ يَقُولُ الرَّبُّ أَفْكَارٌ سَلَامٌ لَا شَرٌّ لِأَعْيُنِكُمْ آخِرَةٌ وَرَجَاءٌ. فَتَدْعُونَنِي وَتَذْهَبُونَ وَتَصَلُونَ إِلَيَّ فَاسْمَعُ لَكُمْ. وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ". وَجَاءَ بِإِنْجِيلِ لُوقَا الْأَصْحَاحِ الْخَامِسِ عَشَرَ أَنْ جَمِيعَ الْعَشَارِيِّينَ وَالْخَطَاةِ كَانُوا يَدْنُونَ مِنَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ لِيَسْمَعُوهُ. وَتَدَمَّرَ الْفَرِيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ قَائِلِينَ: هَذَا يَقْبَلُ خَطَاةً وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ. فَضَرَبَ لَهُمْ يَسُوعُ مِثْلَ الْإِبْنِ الضَّالِّ. إِنَّ ذَلِكَ الْإِبْنَ عَمِلَ شَرَّينَ: الشَّرُّ الْأَوَّلُ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: "يَا أَبِي أُعْطِنِي الْقِسْمَ الَّذِي يُصِيبُنِي مِنَ الْمَالِ" وَلَمَّا قَسَمَ لَهُمَا الْأَبُ مَعِيشَتَهُ جَمَعَ الْإِبْنَ الْأَصْغَرَ كُلَّ شَيْءٍ وَسَافَرَ إِلَى مَدِينَةٍ بَعِيدَةٍ. أَمَّا الشَّرُّ الثَّانِي فَهُوَ أَنَّهُ بَدَرَ مَالَهُ بَعِيْشٍ مُسْرِفٍ. فَابْتَدَأَ يَحْتَاجُ وَانْتَهَى بِهِ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ يَرَعَ خَنَازِيرَ.

عَزِيزِي الْقَارِي.. لَقَدْ ضَرَبَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ ذَلِكَ الْمِثْلَ لِتَنْتَلِمَ مِنْهُ. إِنَّهُ دَرَسَ مُفِيدٌ مِنْ ذَلِكَ الْإِبْنِ الَّذِي صَارَ حَكِيمًا. فَقَدْ رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ قَائِلًا: "كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لِأَبِي يَفْضَلُ عَنِّي الْخُبْرُ. وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعًا. أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَدَامَكَ. وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أَدْعَى لَكَ ابْنًا". وَقَدْ خَتَمَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ ذَلِكَ الْمِثْلَ بِأَنَّ ذَلِكَ الْإِبْنَ: "قَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ الْإِبْنَ بَعِيدًا رَأَى أَبُوهُ فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ. لَقَدْ فَرِحَ الْأَبُ بِعُودَةِ ابْنِهِ. وَعَمِلَ وَلِيمَةً فَرِحَ وَطَرَبَ قَائِلًا: "ابْنِي هَذَا كَانَ مِيتًا فَعَاشَ وَكَانَ ضَالًّا فَوُجِدَ".^٣

عَزِيزِي الْقَارِي.. أَدْعُوكَ لِتَشْتَرِكَ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيَّ.. اعْتَرَفُ أَمَامَ جَلَالِكَ بِأَنْتِي حَفَرْتُ لِنَفْسِي أَبَارًا مُشَقَّقَةً لَا تَضْبُطُ مَاءً. أَعُودُ إِلَيْكَ نَادِمًا تَائِبًا. فَأَنْتَ لِي يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ. اقْبَلْنِي إِلَهِي فِي حَقِّ الدَّمِ الَّذِي سَفَكَ عَلَى الصَّلِيبِ لِفِدَائِي وَتَحْرِيرِي وَلِيَهْبِنِي ضَمَانًا لِحَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ فَادِينَا الْبَارِ. مُتَكِلًا عَلَى وَعْدِكَ الصَّادِقِ يَا مَنْ قُلْتَ: مَنْ يُقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرَجُهُ خَارِجًا.

أخي القاري العزيز.. إِنَّ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرِّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر نحμία ١: ٥ - ٧ ، سفر إرميا ٢: ٥ - ٧
^٢ سفر إرميا ٢: ٧ - ٨ & ١٩ ، إنجيل يوحنا ٤: ١٣ - ١٤
^٣ سفر إرميا ١٤: ٧ - ٩ & ٢: ١٠ - ١٤ ، إنجيل لوقا ١٥: ١١ - ٣١